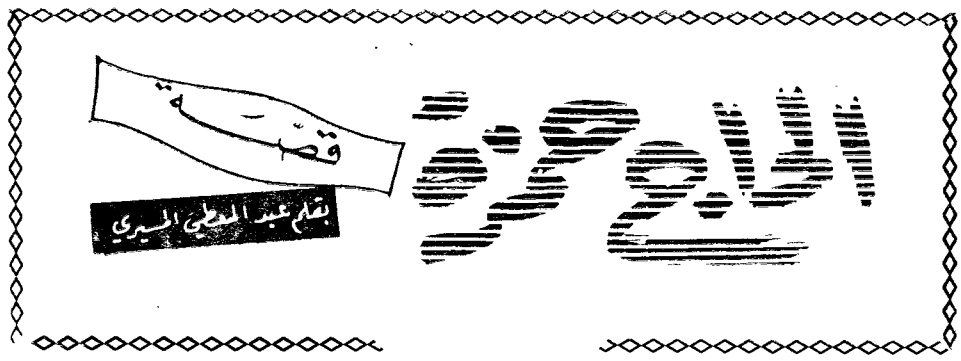

كان يمشي بخطوات ثابتة .. عيناه الواسعتان تشعان بريقا يمزج الطيبة بالثقة والاصرار ورغم الابتسامة التي ترتسم على شفتيه فملامح وجهه تشي بالارادة الصارمة .

لقد جاوز الستين ولكن رجولته تتألق ..

وكان يتجه صوب المحطة مرتديا « الكاكولة » ذات الاكمام الواسعة ، وقابضا بيده اليمنى على بندقية من طراز قديم ..

وأمام شباك التذاكر قال بصوت جهوري :

« تذكرة لبور سعيد » ..

وكان بجواره احد الحمالين لم يكد يسمع اسم بور سعيد حتى صاح على الفور :

ـ الله يقوي الهمة .. أدي يومك يا عم الحاج حمزه !

فالتفت اليه بوجهه البشوش وقال :

ـ دا يومنا كلنا يا بني ، الله يقوي الجميع .

وفي القطار اخذ مجلسه بجوار النافذة وجعل يتأمل الارض الطيبة ، ثم يشدد القبضة على بندقيته محدثا نفسه : « بعينهم ولاد الكلب » .

* * *

لم يكن وحده الذي يحمل السلاح ، فالبنادق تملأ عربة القطار ، ولم يكن وحده الذي يقول « بعينهم ولاد الكلب » وانما كان الجميع يقولونها بتعبيرات مختلفة .

وسأله الشاب الذي يجلس قبالته :

ـ على فين يا والدي ان شاء الله ؟

فأجاب وهو يرنو الى بندقيته :

ـ فين يا بني غير بور سعيد ؟!

واتصل الحديث بينه وبين الجالسين فتناولوا مسألة المؤامرة بالتفصيل: حشد القوات الانجليزية والفرنسية في قبرص .. الهجوم الاسرائيلي .. وقيام الجيش المصري برده وسيطرته على الموقف .. رفض الانذار الغاشم وتحرك القوات المعادية للفدر .

وسأل احدهم الحاج حمزه : « لماذا لم يأخذ بندقية روسية ؟! » .

فربت على بندقيته ورفعها بين يديه كأنه يدللها وقال :

ـ وليه ما دام دى عندي ؟ مش احسن اوفر البندقية الروسية لغيري ؟!

ثم اتسعت ابتسامته وهو يقول :

ـ وغير كده فاحنا الاتنين واخدين على بعض ! ويا ما شفنا سوا !!

وانطلق يروي ذكريات الماضي :

« في الحرب الكبرى سنة ١٩١٤ كان في صفوف السنوسيين يحارب الحلفاء ، ثم يذكر بتوقير واكبار مواطنيه الذين كانوا يقاتلون في الصحراء: عزيز المصري ، وصالح حرب .. وعبد الرحمن عزام ..

ويمد الحاج حمزه يده اليسرى ليري زملاء السفر اصبعه السبابة المبتورة الطرف ..

وتملأ الابتسامة وجهه وهو يقول :

ـ شفنا كتير .. وعملنا كتير .. بتمن بسيط عقلة صوبع !!

وينتقل الى ثورة ١٩١٩ ... « الامة كلها هبت مرة واحدة ... حتى النساء كانت في الثورة ! مرة قامت مظاهرة من السيدات وتعرض لها الجيش الانجليزي ، ولكنها تحدت الجيش .. واستمر الموكب ماشي، تحيا مصر ، أرواحنا فداء مصر .. يا سلام يا ولاد ! كنا نقابل الرشاشات بصدورنا .. وكنا بصطاد الانجليز م الشوارع زي صيد الحمام ... لغاية خافوا، وما عادوا يمشوا الا طوابير، طوابير وحواليهم المترليوزات..

ويعود الحاج حمزه فيرنو الى بندقيته ثم يقول :

« ومن عشر سنين يا ولاد بندقيتي ما شافت راحة الا من مدة بسيطة ، لما جلت الكلاب ،كناأحنا الاتنين من مصر ، لفلسطين ، للقنال .. ولما مشت الكلاب ركبتها ، وقلنا نتوكل على الله .. ولكن علي اليمين يا ولاد ، كنا خلاص ! انا وهي ركبنا الصدا .. امبارح بالليل قعدت لها ! شوفوا رجعت لمعت ازاي ؟ وبقت شباب ! وانا بلمعها كنت احس بأن الدم يجري في عروقي . وكل ما تلمع .. كل ما اشتد اكثر كأني بلمع نفسي !! الشباب رجع لنا احنا الاتنين ..

ورنا نحوها بتودد وقال :

« تصدقوا انها بالليل كانت زي اللي بتكلمني ؟ كل عيني ما تقع عليها كانت كأنها تصرخ : « مستنى ايه ؟ ياللا ياللا .. ع الظالم ياللا ؟ » تصدقوا ؟!

* * *

وفي محطة بنها تفرقت صحبة السفر .

ـ نشوفك بخير يا عم الحاج !

ـ مع السلامه يا ولادي !

وفجأة الحاج حمزه بأن القطارات المتجهة الى بور سعيد كلها حربية .

وتقترب الخطوات الثابتة من ناظر المحطة ، ويطل الوجه البشوش ، ويسأل في ابتسامته المشرقة :

ـ ايه العمل ؟!

ويجيب الناظر :

« التعليمات يا والدي .. والحالة زي ما انت شايف ؟ انها الحرب !

ـ الحرب ! ويحدث نفسه : « امال انا جاي اعمل ايه ؟!

* * *

وتصعد الاقدام الثابتة والكاكولة ذات الاكمام الواسعة ، والبندقية الانفيلد الى احدى العربات في القطار الحربي ... وينطلق القطار نحو المدينة الخالدة .. والحاج حمزه يجيب على اسئلة البوليس الحربي...

لون الصمت

هدأت هدأة السنين عج بها اليوم واستراح الامس فيها وتابعتها الاماني
هدأت كالنيران تنداح شهباء وتذوى تحت انفلات الزمان
هدأت كالالوان لفّعها الليل فصارت صمتاً كموت الاغاني
في الصمت يرتد صوتي ابدا من حنين
وصورة مضى بها مارد
وبسمة بيضاء ليست تبين
في الصمت ، صمتي اذ يظل المعين
ينز عنه زبده بارد
ويرتمي فوق بقايا الرنين
أحدوثة نمقها شارد

منذ أن كان معبدي(١) مرتع الشوق وفيض اللقيا وبيت الرياح
منذ ان كان معبدي موصل النور شيق الاحلام عذب النواح
منذ ان كان معبدي مشرق الوجد لطيف الرؤى لذيذ الصباح
ما كنت ارضى جدثي في الهجير
ينطلق الدود صموت الدبيب
منه وينأى عنه لون العبير
فالصوت في المعبد صوت رحيب
منطلقا في نبض كالزئير
يحيا به كل مناد مجيب

لو توليت شاردا عبر بروق الامس بين هجير اليوم طال طريقي
لو توليت شارداً صوب هدير اللون عند سكون اللحن عز رفيقي
لو توليت ، معبدي ، ظله المارد ينقض اثر كل طليق
وصمتي يعود سدى

بغداد **نجيب المانع**

(١) ان جاز ان يفرض الكاتب فضولا منه رأيا معينا في شرح صوره فاني اعنى بكلمه « معبد » كل قيمة جاهزة يستريح اليها الانسان دون ان يحياها وتزوده بجواب واف لكل سؤال واحيانا تمنعه من السؤال .

« انا جاء ليقاتل في سبيل الوطن..صحيح .. ان سنه كبير ولكن دا يمنع نظره سليم ويده قادره على الضرب فايه يمنع ؟!.. امال يحتلونا ونقف نتفرج عليهم ؟

وبسترسل الحاج حمزه في توسل واستعطاف تؤكدهما ابتسامته الحاوة ....

« واعرف حاجات ثانية ... تمرنت ع الاسعاف ، حقن في العضل والوريد .. نقل دم .. تعقيم وتركيب .. اعرف حاجات كثير ...

«كل حاجة ، في الميدان عال ، وفي المستشفى عالين ، يبقى حرام لو قعدت ساكت ...

وبقف القطار عند البلك رقم واحد وتنزل الجنود المعدات .. ويصحب الحاج حمزه البوليس الحربي حيث قيادة القوة المرابطة حول المحطة ... ومن ثم الى قسم التجهيز والترحيل في الخيام التي اعدت لاستقبال الجرحى ...

... الابتسامة تضيق قليلا ... وملامح الوجه يكسوها ما يشبه الاحتجاج ...

انه كان يتوق الى ملاقاة الاعداء وقتالهم ..

ثم يدع البندقية جانبا ... ويخلع الكاكولة ويشمر عن ساعديه ... ويفرغ بسرعة من ربط فوطة التمريض فوق قفطانه ...

ويطرق اذنه صوت بوق يدوي :

« ايها المواطنون ، انهم الان يحاولون النزول في مطار الجميل ، فالى هناك ...

ويلتفت الحاج حمزه نحو بندقيته، انها تكاد تصيح به، « مستنى ايه »!

ويضطرم في نفسه صراع بين واجبه هنا ، والجهاد هناك ...

ويشخص ببصره نحو المدينة ... فيرى النيران تشتعل ، والدخان يتصاعد من انحاء مختلفة فتنفعل نفسه .. وتبدو الابتسامة على شفتيه معبرة عن الحقد والغضب ...

... ويعود البوق من جديد : « ايها المواطنون .. الى مطار الجميل ، فالمعركة هناك » فيخطو الحاج حمزه ، وتقبض يده على البندقية فترفعها في عزم واصرار

وبثوب التمريض الابيض ، تنطلق الخطوات الثابتة ، فتلبى النداء .

القاهرة **عبد المعطي السيري**